

الأسفار المقدسة عند اليهود
وأثرها في انحرافهم
عرض ونقد
تأليف
د. محمود عبد الرحمن قدح
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين.
أما بعد:

فهذه دراسة موجزة عن موضوع (الأسفار المقدسة عند اليهود - عرض ونقد - وأثرها في
انحرافهم) سرت فيها على خطى علمائنا المتقدمين- الذين قاموا بهدي من القرآن الكريم
والسنة النبوية المطهرة ببيان مواطن التحريف والتبديل في كتب أهل الكتاب - إقامة للحجة
والإزاماً للبينة ومجادلة بالتي هي أحسن - ليحيى من حيٍّ عن بيعة ويهلك من هلك عن بيعة -
وتحذيراً لإخواننا المسلمين من كيد أعدائنا. قال تعالى: **{لَتَجِدَنَّ أُمَّةً تُبْغِي إِلَهِكَ
وَتُؤْمِنُ بِمَا كَفَرُوا..}**¹، لأن اليهود أعداء الحق والفضيلة والخير منذ ظهورهم قال
تعالى: **{لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ}**².

واليهود أعداؤنا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، فحينما بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
سارع اليهود إلى تكذيبه وإنكار رسالته مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، بل قالوا لقريش
عبدة الأصنام بأنهم أهدى سبيلاً من محمد صلى الله عليه وسلم، وحاربوا النبي صلى الله عليه
وسلم بشتى الوسائل بالشبهات والشكوك والكيد والنفاق، والاعتيال والقتال والسحر والسم.
وهم أعداؤنا حاضراً باحتلالهم أولى القبليتين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثالث المساجد التي تشد الرِّجال إليها وقتلهم المسلمين وتشريدهم واحتلالهم ديارنا.
وأعداؤنا مستقبلاً فقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن المسيح الدجال سيتبعه عند
خروجه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، فهم جند الدجال وأعوانه، كما أخبرنا الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم بأنه: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر -وراءه
يهودي-: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله"³.

وهم أعداء السلام وأصحاب الفتن والخصام قال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ بَدَأَ اللَّهُ
مَعْلُومَةً عَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَأَعْتَبُوكُمْ بِمَا قَالُوا بَلْ بَدَأَهُ مَسْئُورًا بِنُفُوسِكُمْ كَيْفَ تَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ
كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِدِينَ}**⁴.

وقد بينت في هذه الدراسة بعض الأسس والمرتكزات الدينية التي ينطلق منها اليهود في
فسادهم وعداوتهم الفضيلة والناس جميعاً، وبذلك تتضح الرؤية في التعامل معهم والحذر
والتحذير منهم.

وقسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث كالآتي:

- المبحث الأول: الإيمان بالكتب الإلهية.
 - المبحث الثاني: الأسفار المقدسة عند اليهود عرض ونقد.
 - المبحث الثالث: أثر الأسفار المقدسة في انحراف اليهود.
- وبالله التوفيق والسداد

وكتبه

د. محمود بن عبدالرحمن قدح

المبحث الأول

الإيمان بالكتب الإلهية

إن من حكمة الله عز وجل ورحمته بعباده أن بعث أنبياء ورسلاً لهدايتهم ودعوتهم إلى
الخير، وإقامة حجته على خلقه، وأنزل عليهم كتباً ليبيّنوا للناس ما أنزل إليهم من الهدى والنور،
وما تتضمنه من أحكام الله عز وجل العادلة، ووصايا النافعة، وأوامره ونواهي الكفيلة بإصلاح

1 سورة المائدة، آية 82.

2 سورة المائدة، آية 78-79.

3 أخرجه البخاري (انظر: فتح الباري 6/103)، ومسلم 4/2238، 2239، عن أبي هريرة رضي الله
عنه.

4 سورة المائدة، آية 64.

البشرية وإسعادها في الدنيا والآخرة.
وتمهيداً لموضوع دراستنا (الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم - عرض
ونقد)، فإنه يجدر بنا أن ندرس بإيجاز ثلاث مسائل مهمة لتبيين موقف الإسلام من الكتب الإلهية،
وهي:

- 1 - الإيمان بالكتب السماوية.
 - 2 - وقوع التحريف والتبديل في الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم.
 - 3 - حكم قراءة المسلم في التوراة والأنجيل المحرّفة.
- المطلب الأول: الإيمان بالكتب الإلهية السماوية
إن من أركان الإيمان الستة الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل على أنبيائه ورسوله،
وبأنها حق وصدق وهدى ونور وبيان وشفاء ورحمة للخلق وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم
في الدنيا والآخرة.
- والإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الكريم الذي نُزِّلَ على محمد صلى الله
عليه وسلم والإنجيل الذي نُزِّلَ على عيسى صلى الله عليه وسلم، والزبور الذي نُزِّلَ على داود
صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، وصحف إبراهيم
صلى الله عليه وسلم⁵.
- والإيمان بأن لله كتباً أنزلها علي أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله، قال عز وجل:
- {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**⁶.
- وأما كيفية إيماننا بالكتب السماوية، فإننا نؤمن بالكتب السماوية السابقة إيماناً مجملًا،
يكون بالإقرار بها بالقلب واللسان، وأن منها ما فُقد واندرث، ومنها ما حُرِّفَ وعُيِّرَ، وأنها منسوخة
بالقرآن الكريم.
- وأما القرآن الكريم فنؤمن به إيماناً مفصلاً، يكون بالإقرار به بالقلب واللسان، وإتباع ما
جاء فيه، وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة، وأن الله تعالى قد تكفل بحفظه، لا يأتيه الباطل من

⁵ ورد أن الكتب السماوية المعروفة بأسمائها قد أنزلت في شهر رمضان المبارك في حديث واثلة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان،
وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل
الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". أخرجه
الإمام أحمد 4/107، وابن عساكر.

قال الهيتمي في المجمع 1/197: "رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمران بن داود
القطان، ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقيه رجاله
ثقات".

قال الشيخ الألباني: إسناده حسن، رجاله ثقات، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً نحوه أخرجه
ابن عساكر. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة 4/104 ح 1575).

⁶ سورة البقرة، آية 213.

بين يديه ولا من خلفه، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه ناسخ لما قبله من الكتب السماوية، قال الله تعالى: **{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ... }**⁷، أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السماوية إلا ما أقره منها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة⁸ المطالب الثاني: وقوع التحريف في الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم. لقد تصافت الأدلة والبراهين على تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب المتقدمة، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك منها: قوله تعالى: **{... قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَنُحُفُونَ كَثِيرًا... }**⁹ وقوله تعالى: **{ فِيمَا بَفِضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ }**¹⁰

وقد أجمع المسلمون على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السابقة، إما عمداً وإما خطأ في ترجمتها أو في تفسيرها أو تأويلها، إلا أن علماء المسلمين قد اختلفوا في مقدار التحريف فيها: فقال بعضهم: إن كثيراً مما في التوراة والإنجيل باطل ليس من كلام الله. ومنهم من قال: بل ذلك قليل.

وقال بعضهم: لم يحرف أحد شيئاً من حروف الكتب وإنما حرفوا معانيها بالتأويل. وقال بعضهم: كانت توجد نسخ صحيحة للتوراة والإنجيل بقيت إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ونسخ كثيرة محرقة. وقال الجمهور: بأنه بُدِّل بعض ألفاظها وُحِرِّفَ¹¹ والذي أراه - والله أعلم - أن تحريفاً كثيراً قد وقع في كتبهم إلا أنه لا تزال فيها بقايا من الوحي الإلهي وهي كثيرة أيضاً، ولا سبيل لمعرفة إلا بموافقتها لما في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وأما أنواع التحريف في كتبهم فهو: تحريف بالتبديل، وتحريف بالزيادة، وتحريف بالنقصان، وتحريف بتغيير المعنى دون اللفظ، والشواهد على ذلك كثيرة. وإلى جانب التحريف فإن هناك وسائل أخرى ذكرها القرآن الكريم لا تقل خطورة في تأثيرها عن التحريف والتبديل، ومن هذه الوسائل¹² ما يلي:

- 1- الإخفاء: قال تعالى: **{ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَنُحُفُونَ كَثِيرًا... }**¹³، وقال تعالى: **{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ }**¹⁴
- 2- الکتمان: قال تعالى: **{ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }**¹⁵، وقال تعالى: **{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاسْتَرَوْا بِهِ تَمَتًّا قَلِيلًا فَيُنسَنَ مَا يَشْتَرُونَ }**¹⁶
- 3- إلباس الحق بالباطل: قال تعالى: **{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }**¹⁷، وقال تعالى: **{ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }**¹⁸

7 سورة المائدة، آية 48.

8 انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص 350، شرح لمعة الاعتقاد ص 77-85 لابن عثيمين، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص 149-151.

9 سورة الأنعام، آية 91.

10 سورة المائدة، آية 13-15.

11 للتوسع انظر: مجموع الفتاوى 102/13-105، الجواب الصحيح 1/356، 367، 2/5، 3/246 للإمام ابن تيمية، وهداية الحيارى 105 لابن القيم، تفسير ابن كثير 1/520، فتح الباري 17/523-526.

12 انظر: علاقة الإسلام باليهودية ص 43-45، د. محمد خليفة.

13 سورة الأنعام، آية 91.

14 سورة المائدة، آية 15.

15 سورة البقرة، آية 146.

16 سورة آل عمران، آية 187.

17 سورة آل عمران، آية 71.

4- الكذب والتكذيب: قال تعالى: { قُلْ فَأْتُوا بِالتُّورَةِ فَإِن لَّوَهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الطَّالِمُونَ }¹⁹، وقال تعالى: { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ... }²⁰

5- لوي الألسنة بالكتاب: قال تعالى: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِخِسَابِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }²¹

6- التعطيل: المقصود به تعطيل أحكام التوراة، والإنجيل وعدم إقامتها والعمل بها. قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوَاقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ }²²، وقال تعالى: { قُلْ يَا هَلْ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُفِيمُوا التُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ... }²³. وقال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ }²⁴

7- الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر: قال تعالى: { ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ... }²⁵

18 سورة البقرة، آية 42.

19 سورة آل عمران، آية 93-94.

20 سورة آل عمران، آية 78.

21 سورة آل عمران، آية 78.

22 سورة المائدة، آية 66.

23 سورة المائدة، آية 68.

24 سورة الجمعة، آية 5.

25 سورة البقرة، آية 85.

- 8- الإهمال: قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ تَبَدَّ قَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ²⁶.
- وكذلك قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَابْتَغُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَبَيِّنْ مَا يَسْتُرُونَ} ²⁷.
- 9- الظن: قال تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَطَّلُونَ} ²⁸.
- 10- النسيان: ²⁹ قال تعالى: {فَبِمَا نَفَعْنَاهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} ³⁰.
- 11- التزوير: قال الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَسْتُرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} ³¹.

وتوضح هذه الوسائل مجتمعة الطرق التي تحوّلت بها التوراة والإنجيل وغيرها من كتب إلهية سماوية إلى كتب بشرية خطها رجال الدين من اليهود والنصارى بأيديهم.

المطلب الثالث: حكم قراءة المسلم في التوراة والأنجيل المحرفة وما شابهها.

بعد أن علمنا من المطلبيين السابقين أن الكتب السماوية السابقة قد حرّفت وُبدلت ونُسخت بالقرآن الكريم، فإن سؤالاً مهماً يتبادر إلى الذهن هو: ما حكم إطلاع المسلم وقراءته الكتب المقدسة عند أهل الكتاب؟

وبالرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بهذه المسألة نجد أدلة ظاهرها التعارض، فبعضها يفيد الجواز والآخر يفيد المنع، وسأبدأ بأدلة المنع ثم أدلة الجواز ثم أبين ما يترجح منها مستعيناً بالله عز وجل.

- أما أدلة المنع من قراءة كتب أهل الكتاب فهي:

26 سورة البقرة، آية 101.

27 سورة آل عمران، آية 187.

28 سورة البقرة، آية 78.

29 انظر: علاقة الإسلام باليهودية ص 43-45 د. محمد خليفة حسن.

30 سورة المائدة، آية 13.

31 سورة البقرة، آية 79.

- عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب، فقال: "أمتهم كون³² فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"³³.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون}"³⁴ الآية³⁵.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أجدت الأخبار بالله تقرؤنه لم يُشَبَّ؟! وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: {هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رَأْيَ بَعْضِنَا قَلِيلاً}³⁶، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم³⁷.

³² التّهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير رويّة، وقيل: التحير.

انظر: النهاية في غريب الحديث 5/282 لابن الأثير.

³³ أخرجه الإمام احمد 3/387 والدارمي 1/115، وابن أبي شيبة ح 26421، وابن عبد البر في جامع بيان العلم 2/42، والبزار وأبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان. قال الحافظ ابن حجر في الفتح 13/334: "رجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفاً". وبمثلته قاله الهيثمي في المجمع 1/179.

قال الشيخ الألباني: وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف، ولكن الحديث حسن عندي لأنه له طرقاً كثيرة عند اللالكائي والهيرومي وغيرهما. (انظر: المشكاة ح 177، والإرواء 6/34 ح 1589)

³⁴ سورة البقرة: 126.

³⁵ أخرجه البخاري (انظر: فتح 5/291، 8/170)، والبيهقي في السنن الكبرى 163/10.

³⁶ سورة البقرة، آية 79.

³⁷ أخرجه البخاري (انظر: فتح الباري 5/291)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم 2/41.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحق أو تصدقوا باطل"³⁸.

- وأما أدلة جواز الإطلاع على كتب أهل الكتاب فمنها:

قال تعالى: **{ فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }**³⁹ {⁴⁰

وقال تعالى: **{ وَتَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }**⁴¹

قال تعالى: **{ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }**⁴²

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"⁴³. والتحديث عن بني إسرائيل يقتضي النظر في كتبهم.

- وعن عطاء بن يسار قال: "لقبت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت:

أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرراً⁴⁴ للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ... الخ"⁴⁵.

³⁸ أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 2/41، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبدالرزاق من طريق حريث بن ظهير فذكره، وأخرجه سفيان الثوري من هذا الوجه، وسنده حسن. (انظر: فتح الباري 6/334).

³⁹ المراد من قوله تعالى: **{ فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ }** على سبيل الفرض والتقدير، إذ الشك لا يتصور منه صلى الله عليه وسلم أبداً لعصمته، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا أشك ولا أسأل"، كذا قاله ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن البصري. (انظر: تفسير ابن كثير 2/448).

⁴⁰ سورة يونس، آية 94.

⁴¹ سورة الرعد، آية 43.

⁴² سورة الزخرف، آية 45.

⁴³ أخرجه البخاري. (انظر: فتح الباري 6/496)، والإمام أحمد 2/159، والترمذي ح 2669، والدارمي 1/136، وابن عبد البر في جامع بيان العلم 2/40.

⁴⁴ وحرراً: أي حافظاً، وأصل الحرز، الموضع الحصين، يقال: أحرزت الشيء أحرزته إحراراً، إذا حفظته وضممته إليك وصننته عن الأخذ.

انظر: النهاية في غريب الحديث 1/366، فتح الباري 4/343.

⁴⁵ رواه البخاري (انظر: فتح الباري 4/343)، وأحمد 2/174.

- وورد أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما⁴⁶.

وإزاء هذه النصوص التي ظاهرها التعارض بين النهي والجواز في النظر في كتب أهل الكتاب، فقد ذكر العلماء أقوالاً في الترجيح والجمع بين تلك النصوص:

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "... وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..." أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار⁴⁷.

وقال بعضهم: إن الأمر بالإباحة والجواز ليس على إطلاقه، فإن جاء ما في كتبهم موافقاً لما في شرعنا صدقناه وجازت روايته، وما جاء مخالفاً لما في شرعنا كذبناه وحرمت روايته إلا لبيان بطلانه، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب وتجاوز روايته، وتذكر للاستشهاد لا للاعتقاد⁴⁸.

والأولى في هذه المسألة الجمع بين النصوص المتعارضة، لأن فيه العمل بالنصوص كلها، أما القول بالنسخ ففيه الأخذ ببعض النصوص وترك لبعضها، وطريقة الجمع بينها تكون بالتفصيل في المسألة على النحو الآتي:

1- حكم المقروء من كتب أهل الكتاب.

2- حال القارئ لها.

3- قصد القارئ ونيته من القراءة فيها.

1- فأما بالنسبة لحكم المقروء منها فإنه على ثلاثة أنواع:

أ - نوع يجوز تصديقه وروايته، وهو ما جاء في كتبهم موافقاً لما في شرعنا.

ب - نوع يحرم روايته إلا بشرط تكذيبه وبيان بطلانه، وهو ما جاء في كتبهم مخالفاً لما في شرعنا.

ج - ونوع يتوقف فيه، لا يحكم عليه بصدق ولا بكذب وتجاوز روايته وتذكر للاستشهاد لا

للاعتقاد، وهو ما سكت عنه شرعنا.

2- وأما حال القارئ لكتبهم فإنه يجوز لأهل العلم من الراسخين في الإيمان والعلم وعلى هذا الصنف من الناس نحمل نصوص الجواز والإباحة في قراءة كتب أهل الكتاب، ولا يجوز لمن لم يكن من الصنف الأول كالعامي الغرّ والشاب الغمر من الناس ومن في حكمهم فهؤلاء تحمّل عليهم نصوص المنع وعدم الجواز.

3- وأما بالنسبة لقصد القارئ ونيته ممن يجوز لهم القراءة، فإنه لا يجوز للقارئ إذا كان النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم لها، أو إذا كان يتشاعل بذلك دون غيرها مما هو مطلوب من علوم الشرع.

وأما إذا كان قصد القارئ معرفة ما في كتبهم من الشر لتوقيه وتحذير الناس منه، أو الرد على المخالف وإلزام اليهود والنصارى بطلان دينهم وتحريف كتبهم ونسخ شريعتهم والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يستخرج من البشارات في كتبهم، فهذا جائز يدل عليه النصوص الشرعية وفعل الأئمة كابن حزم وابن تيمية وابن القيم وغيرهم في النقل من كتب أهل الكتاب،

⁴⁶ انظر: مجموع الفتاوى (مقدمة في أصول التفسير) 13/366، فتح الباري 1/207، قال ابن تيمية:

وقد فهم الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو من الحديث السابق الذي رواه عن النبي صلى الله

عليه وسلم: "... حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..." الإذن في ذلك، ولكن هذه الأحاديث

الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذلك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً.

انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 13/366، 367.

⁴⁷ انظر: فتح الباري 6/498.

⁴⁸ انظر: فتح الباري 6/499، 12/334.

ولولا اعتقاد الأئمة جواز النظر فيها لما فعلوه وتواردوا عليه.
وذلك القصد داخل ضمن ما أمرنا به الله عز وجل في قوله تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**⁴⁹. وقوله تعالى: **{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}**⁵⁰.
والمجادلة المحمودة التي أمرنا بها هي التي تكون عن علم وبصيرة وهدى وذلك يقتضي النظر في كتبهم لإلزامهم الحجة وإقامة البينة عليهم والله أعلى وأعلم⁵¹.

⁴⁹ سورة النحل، آية 125.

⁵⁰ سورة العنكبوت، آية 46.

⁵¹ للتوسع في هذا الموضوع يراجع: مصنف ابن أبي شيبة 5/312، 318، جامع بيان العلم 42-2/40 للإمام ابن عبد البر، مجموع الفتاوى 13/366 للإمام ابن تيمية، فتح الباري 6/498، 13/333-335، 526-523 للحافظ ابن حجر، الإسرائيليات في التفسير والحديث - د. محمد الذهبي، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - د. محمد أبو شهبه، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - د. رمزي نعاة.